الكاهن

او

انتقام شريف

رواية تمثيلية ، ذات مقدمة وثلثة فصول

بقلم المتوري مارون غصن (تابع)

الفصل الثاني

بذل الذات

يمثل المثل كوخ أجله ماهال – غرفة على الطراز الهندي ، بسيطة نظيفة – في المؤخر باب يفتح عن مغارة – الى اليسار نافذة – الى اليمين باب قصب فارسي – فرش هندي – كراسي – اواني خزفية – ماندة عليها آنية شراب ، وقدح ، وثمار .

المشهد الاول

البرهمي — أجله ماهال

أجله : مُرْ ، يا سيدي ، فعبدك مستعد .

البرهمي : (كانه مختطف وبشدة) ، حلت ساعة الانتقام ! الآلهة تطالب بالضحية ! ولتتالنها ! . . . أجله ، انت من خدمة اوليفيه سنبتون ؟

اجله : نعم ، سيدي .

البرهمي : هل له بك ثقة ؟

أجله : نعم ، سيدي .

البرهمي : أتحبُّه ؟

الجه : سيدي ، ان اوليفيه سنبتون مولى قاسي القلب ، يستذلُّ ويُتعب في العمل ، ويُكلفُ ما لا يُطاق ؛ فما وقفت امامه مرَّةً الَّا خائفاً مضطرباً .

البرهمي : أمستعدٌّ انت لخدمة الآلهة ؟

الجه : نعم ، يا سيدي .

البرهمي : اذن تأهَّبْ ، يا حارس المنارة المقدَّسة ، تأهَّبْ لتلقي امام مذبح إلاهتنا «دورجا» ضحيَّة عظيمةً وقمتْ في ايدينا ؟

الجه : متأهب انا ومستعدّ !

البرهمي : اوليفيه سنبتون هو الضحيَّة التي تُريدها الإلاهة ؛ وهاك منازله ، وقد حلَّ بها الدمار . . . هو احد الهنود الأمناء أضرمَ فيها النار . . . سيأتيك اوليفيه ملتجئاً ؛ فعليك ان تدخله في ظلام هذه المغارة المؤدّية الى الهيكل ! . . . أسمعتَ ، يا أجه ؟

الجه : نعم ! نعم ! ولعلَّ خدمتي هذه تخفف من غضب الإلاهة ! ألا فليمت المولى الفظُّ ، الخشن !

البرهمي : وإنَّ في صحبته كاهناً مسيحيا ؛ فلتكن إجارتُك لكليهما موتاً زؤاماً ! (يدفع اليه قنينة فيها سمّ) خذا الى اللقاء ، تذكَّرْ الإلاهة ولا تنسَ سُخط الهيكل !

الجه : عبدك انا ، يا مولاي ! (يخرج البرهمي)

المشهد الثاني

الجه وحده

الجه : لنسكب السمّ في آنية الشراب وعلى هذه النار . (يصبّ من القنينة) آه ! عسى ان ينال انتقامي حظوة في عين الآلهة ! ويلك ، يا أوليفيه سبتون ! وويلك ايضاً ، ايها الكاهن المسيحي ! فقد وافاكما الأجل !

المشهد الثالث

جينور — الجه

أجه : جينور ، اين الصبي ؟

جينور : هناك . . . في الغابة . . يلعب .

ألجه : وحده ؟

جينور : (خائفاً) ها أنا ، يا أخي ، ماض اليه . . . جئتُ لأعرف ما يرى للافرنج ، واطّلع على ما حلّ بمولانا .

الجه (متجهاً الى النافذة) : تعال ، وانظر . . .

جينور : ما بك ، يا ألجه ؟ أرى الشرر يتطاير من عينيك ! (يلتفت الى الخارج) يا لها نارًا هائلة !

ألجه : نعم ، النار في منازل اوليفيه ! . . .

جينور : ويحك ! . . قد اكلتَ خبزه ، ونمتَ تحت سقف بيته ، وتبتهج الان بالنار تلتهم امواله ؟ ! . . .

ألجه : اليوم تُجازى السيّئات بسيّئاتٍ مثلها ! اليوم يومُ الانتقام !

جينور : الانتقام ؟ أيّ شرّ صنع هؤلاء الغرباء ؟

ألجه : أيّ شرّ ؟ ! حسبُهم انهم مسيحيّون ! آه ! صدري يفيض بسبب هؤلاء البيض ، غضباً وسُخطاً !

جينور : أخي مرتع الغدر وخيم ، فلا تخُنْ مولاك !

الجه (هازئاً) : وما عسى ان يتالني منه بعد اليوم ؟

جينور : ما عازمٌ انت ان تصنع ؟

الجه : عزمت ان لا أُبقي على كل من بقع منهم في يدي ! . . . هناك النار تفترس اموالهم . . . وهنا . . . هنا الموت يترصدهم ! اجل كل شيء مُعدّ !

جينور : أخي ، قد تحرّموا بنا ، وسيأتون الينا واثقين آمنين . . وأنت ! . .

الجه : ليأتوا ! . . . اني لهم في انتظار !

جينور : اذن تكون اجارتي لهم هلاكاً وموتاً ؟ !

ألجه : آخر بك ان تدّخر الشفقة لاخواننا ! فالبيض لم يبقَ لهم مناص ! فأياك ، إياك ان تفتح فاك ، وإلّا ألحقتك بهم ! انا اخوك البكر ، فالطاعة لي عليك واجبة ! أجل في يدي حياتك وموتك ! فاحذر !

جينور : ما ذنبي ؟ وبمَ أسأتُ اليك ؟

الجه : ان الآلهة الى دم الافرنج عطشى ، فلا بدّ من إروائها ، لا بُدّ ! دونك هذه المغارة ، فقد غدت لهم قبراً ؛ وهـذه النار سكبتُ عليها سمًّا ناقعاً ! وهذا الماء فيه الموت الزؤام ! اجل ! نُجيرهم في هذا المنزل كي لا يخرجوا منه احياء ! واذا فاجأهم الامير هنا ، فلا يجدهم الّا اسرى ... او جُثثاً باردة !

جينور : يا لَحظك ! ما أشدّ احتدامهُ ! ... ولكن ألا ترحم الكاهن الشابّ وتُخلّي عنه ؟ لقد وصل هذا الصباح ... وسيماؤهُ تدلُّ على الصلاح ...

الجه : الكاهن الشاب ؟ فليست كرفقائه ! كلُّ ضحيّةٍ في رضا الآلهة رخيصة !

جينور : اخي ! ... بحقّ والدك ! ... بحقّ آخر ابن بقي لك من بنيك ... خلِّ عن الكاهن !

الجه (بغلظة) : سُدّ فاك ، وامضِ الى الغابة ؛ فهناك مقرّك ! اسهرْ على ولدي ... البابُ يُقرع ... اذهب ولا تعُدْ حتى ادعوك ... عجّل ، وإلّا ! ...

جينور : آه ! لا حيلة لي ! هو اخي البكر ، فلا يسعني الّا الخضوع ! (يخرج) .

الجه : حلّ القضاء ! (يفتح باب المغارة) هنا مضيفك ، ايها الماتي ! هنا ، هنا قبرك ! (يُغلق باب المغارة ويفتح باب المنزل) .

المشهد الرابع

اوليفيه — الجه

اوليفيه (يدخل عابساً ، يائساً) : الجه ماهال ، أتيتك ملتجئاً ؛ فأجرني هنيهةً ... لا يسعني الفرار ، فان الارض غاصّةٌ برجال الامير !

الجه (منحنياً) : على الرحب والسعة ، مولاي !

اوليفيه (يجلس وينظر من النافذة) : منازلي اضمحلّت ... وكلُّ ثروتي صارت رماداً ... مزارعي خُرّبت فلم يبقَ لها اثر ! أجل ! خسرتُ كل شيء ... كلُّ شيء ! ...

الجه (بمنتهى اللطف) : ايها المولى !

اوليفيه : يدعوني مولى ! ... وأيّةُ ولايةٍ بقيت لي ؟ (سكوت — على

حدة) تُرى ، ايكون ذلك مقدمة عقابي ؟ (ينهض) بمَ يلهون هناك ؟ قد تهدَّد القائد الانكليزي وتوعد باستئصال شأفتهم ؛ فاين بطشه ، واين صولته ؟ (يقف امام النافذة) يا للدمار ! يا لخيبة الآمال ! مَن هناك ؟ جوفروا ؟ هو ، هو ! عاينتهُ راكضاً بين الخرائب ، يُعين الجرحى ... (باحتقار) تلك رسالتهُ ! ... اما انا ، فرسالتي المغامرة الى النهاية ، الى النهاية ! عليَّ ان أعجّل في اللحاق بهم الى حصن ڤكتورية ! (يخرج ثم يرجع حالاً) أنّى لي ان افرّ ، والجنود تملأ السهل ، وهم يعرفوني ؟ آه ! اذاً حلّ القضاء ، ضاق الفضاء ! (يجلس يائساً) .

الجه (بلطف ودهاء) : أالسيّدي ثقةٌ بعبده ؟

اوليفيه : لولاها ، ما لجأتَ الى منزلك !

الجه : لك الشكر ، يا مولاي ؛ فها انا أوصلك الى شاطئ البحر ، في اقلّ من عشر دقائق .

اوليفيه : وكيف ؟

الجه : عندي مجازٌ سرّي ، معبرٌ تحت الارض قديم ، يؤدّي الى هيكل «دورچاه» ، ولهُ مخرجٌ سرّي ، يُوصل الى شاطئ البحر . (يتظاهر بعدم الاهتمام) لكني اخشى ان يظنّ بي مولاي الظنون ... فلستُ اجرؤ ان ألحّ عليه .

اوليفيه (بعد تفكّر) : عرفتك ، يا ألجه ماهال ، خادماً امينا ... لذلك أعتمد عليك ... فضلاً عن أنْ ليس لي وجهٌ للنجاة الّا ما عرضتَ . (بجزم) هيّا أرِني المجاز .

ألجه : اذن انت تثق بي ، يا مولاي ، كلّ الثقة ؟

اوليفيه : نعم ... نعم ... فعجّل قبل فوات الحين .

الجه : أبشرْ ، يا مولاي ، بالنجاة ! (يتجه الى باب المغارة) دونك مدخل المجاز ...

اوليفيه : لا سبيل الّا الولوج . وداعاً ، ايها الخادم الامين ، وشكراً ! (يدخل ، فيُغلق الباب عليه) .

ألجه : أطبق الفخُّ عليك ! فتوغّلْ في ظلمات قبرك ! (يدنو من باب المغارة وينادي) اوليفيه سنيتون ، أبشر بالهلاك ! هو الغرورُ دفعك الى الثقة بي ، فوقعت

بين مخالب اعدائك . . . تهدد ، وتوعد ما شئت . . فليس لك من هذا القبر مناصٌ ولا فلتٌ !

اوليفيه (بصوتٍ مختنق) : آه ! يا لك من خائن !

الجه : ظننتَ انك تتفلتُ من يديَّ . . . ليس لهذا النفقِ مخرج ألا هيكل دورجا . . . في نصف الليل تأتيك الكهنة ، فيجري دمك على مذبح الإلاهة قطرةً قطرة . . . لقد نشبتَ في حبائلي . . آه ! ما ألذّ الانتقام !

المشهد الخامس

يظهر جوفروا على الباب

جوفروا : اليَّ ، يا آل المروة ، اليَّ !

الجه : الكاهن المسيحي . . .

جوفروا : خارت قواي . . . خُضتُ اللهيب لانقاذ المساكين . . . وقتُ بما يجب عليَّ ؛ والآن استطَ عياء وكللا . . . اليَّ ، يا صاح ، اليَّ ، كائناً مَن كنت !

ألجه (على حدة) : أخشى ان يسمع انين اوليفيه ! (يرفع صوته) ليس لك هنا ملجأ امين . . . فلا بدَّ لجنود الامير من ان يصلوا الى هنا . . . فاذا وجدوا عندي واحداً منكم ، أهلكونا جميعاً . . . ففرَّ ، فرَّ حالاً !

جوفروا : آه ! لا أريد ان أعرّضك لغضب الامير . . . انا ماضٍ ؛ لكني اسألك ان استريح هنا هنيهة . (ينظر الى القنينة على المائدة) بحقك ! جُدْ عليَّ بقليل من الماء ، لتشوب اليَّ روحي ، ثمّ أجرُّ نفسي الى بضع خطوات من هذا المكان . . .

ألجه (بخوف وفرح) : هو ، هو يطلب الماء . . . أدخل واستريح قليلاً ، يا مولاي .

جوفروا : لك الشكر .

ألجه (يملأ القدح ماءً) : خذ واشرب ما بدا لك .

جوفروا : لك الشكر . (يتناول الكاس ، فيسمع تنهُّداً خارجاً من المغارة ، فيضع الكاس على المائدة) ما هذا ؟

الجه : ما بك ؟

جوفروا : سمعتُ شيئاً اشبه بأنين !

الجه (مضطرباً) : انت واهم . . . من اين الانين ؟

جوفروا : لا أدري . . . آه ! عقلي تائه !

الجه : إشرب ، يا سيّدي ، اشرب . . . فالماء يُعيد اليك قواك .

جوفروا : نعم ، خلاصي على يدك ! (يتناول الكأس) .

جينور (يصيح في الخارج صيحة عظيمة) : آه ! آه !

جوفروا (يضع الكاس وينهض) : سمعتَ ؟

الجه (هائجاً) : لا شيء ! هو أخي يُلاعب ولدي . . . فاطمئنّ بالًا .

المشهد السادس

يدخل جينور مذعوراً

جينور : ولدك ! ولدك !

الجه : ويلك ! لِمَ الصياح ؟

جينور : لا لومَ عليّ . . . فقد قلتُ لك انّ مرتع الشرّ وخيم ! . . . ان حيّتنا الهنديّة ، مرجانة ، صغيرةٌ هي ، لكنّ نهشتها أشدُّ من انياب الشر هولًا . . . كان الولد يلعب قربي . . . فلم اشعر الّا وقد سقط على الارض مصعوقاً ! . . . آه ! قُضي الامر ! قُطع الرجاء ! . . .

الجه : ويلك ! لئن مات ، فلأقتلنّك به !

جوفروا : فلنسرع اليه ، فانّ الحين لم يفت ! عجّلْ ! (يخرج جينور مسرعاً) .

الجه (يائساً) : مرجانةُ نهشتها قتّالة . . . فلا دواء ولا علاج !

جوفروا : بلى ، علاجٌ واحد . . . ان سمّ الحيّة لم يَسْر بعدُ في عروق الصبيّ . . . فينبغي ان يُمتصّ السمُّ حالًا ! . . .

الجه (مرتدًّا الى الوراء مذعورًا) : أنْ أمتصّ السمّ ؟ ! ان تُلطّخ شفتاي بدم مسموم ؟ . . . لا . . . لا . . . لا ! . . .

جوفروا : هذا الصبيُّ هو ابنك ، وتتردّد ؟ . . . إلبث هنا ، وأنا أُسرع اليه .

الجه : ماذا تريد ان تصنع ؟

جوفروا : أريد ان اقوم بواجبي ! فابقَ هنا ، اذا كنت لاتجرؤ على مرافقتي .
(يخرج) .

المشهد السابع

الجه ماهال وحده

الجه (يستلقي على الكرسي جزعاً) : ويلي ! هلك ولدي ! وهذا الرجل ايضاً معه . . . ما هي إلّا لحظة حتى يغيبان عن الحياة ! . . . كيف تركتُه يذهب ؟ كيف لم أُسرع الى انقاذ ولدي ؟ . . . آه ! لقد أعماني الحقد ، وختق فيَّ كل عاطفة ! (سكوت) هلّا يرجعان ! آه ! وصلا بعد فوات الحين ! (خائفا) ولدي ! . . . بُنيَّ ! . . . ايها المسيحي ! جينور ! ولدي ! (يُقبل ويُدبر) .

المشهد الثامن

الجه — جينور — جوفروا

جينور : هو حيّ . . . نجا !
الجه : نجا ؟
جوفروا : نعم . . . عادتْ اليه الحياة . . . وفتح عينيه وتنفس . قليلًا من هذا الماء لارطب به شفتيه ! (يتناول الكاس ويهمّ بالخروج) .
الجه (ينتزع الكاس من يده) : لا تسقِ من هذا الماء !
جوفروا : ولِمَه ؟ . . . ماذا تخشى ؟
جينور : آه ! كدتُ أنسى ! (يخرج) .
الجه : الويل لي !
جوفروا : ما بك ؟
الجه : صُبَّ عليَّ اللعنات . . . نذلٌ انا ولئيم ! . . . آه انَّ عظمة نفسك تسحقني . . . أنت الخائرُ القوى ، السلاهبُ تعباً ، الرّازح تحت عبء الآلام ، تتشدَّدُ وتُسرعُ لخدمة الغير . . . وانا القويُّ ، النشيط ، أنصبُ لك الشرَك ؟ ! في هذا الماء

سمٌ قاتل ، وقد اوشكتَ ان تشربه .

جوفروا : يا لله !

ألجه : أنت في حالة التعب ، والعطش ، والجوع ، تستعيد ارادتك القويّة لدرء الاخطار عن الناس ؛ وانا في حالة السكينة ، والراحة ، أنصب المكايد لسيّدٍ خدمتُهُ سنين ؟ !

جوفروا : ما تقول ؟ أيُّ سيّد ؟

ألجه (يشير الى المغارة) : خدعتهُ انا النذلُ ، اللئيم ؛ وها هو الان في هذه المغارة الهائلة ، امام الجلّادين والقتلة .

جوفروا : اوليفيه ؟ مات اوليفيه ؟

الجه : هو لا محالة مائت ! في هذا الليل يُسفك دمُهُ على مذبح ذورجا ، بلا رحمة ولا شفقة .

جوفروا : في هذا الليل . . . إذن لم يفُت الحين . . . لنُسرع إلى إنقاذه ! هيّا ، عجّل !

ألجه (يائساً) : هذا مُحال ؟

جوفروا : مُحال ؟ ولِمَه ؟ دلّني ، يا ألجه ماهال ، دلّني على المغارة . . . وأنا ، انا وحدي أُسرع لانقاذه !

ألجه : ما من فائدة ! فهو ، ولو بقي هنا في منزلي ، هالكٌ لا محالة .

جوفروا : ولماذا ؟

الجه : بغتةً ! لا تسلني ؛ فاذا اخبرتك ، هالتك جريمتي ! . . . (سكوت) آه ! اذا شئتَ ، فتحت الباب ؛ ولكن علينا بعد ذلك أن نفرَّ حالاً . (يتجهان نحو المغارة — يرجع جينور — يعالجون الباب بفأس ويضربون بشدّة ، فينفتح) .

اوليفيه (يشب الى الخارج) : اين الخائن ؟

جوفروا : ما لك والخائن ، فانت الآن حرٌّ ، يا اوليفيه !

اوليفيه (مرتدّاً الى الوراء) : انت ؟ أنت أنقذتني ؟ (يتجه ناحية الشمال منتبضاً) .

ألجه (يدنو منه وينحني) : سيّدي . . . ذنبي اليك عظيم . . . بُطولةُ هذا

الكاهن ضعضعتني ؛ فانا ، من الآن فصاعدًا ، عبدُك ، وعبدُ عبدك !

جينور : نعم ، يا سيدي ، اغفر لاخي ، فقد غرَّه الغرور لحظةً .

جوفروا : وقد ندم على ما بدر منه . . . فهيَّا الان نفكر في انقاذك .

الجه : عجلوا ، فقد دنا موعدُ وصول الامير . . . فان بقيتم هنا هلكتم . تعالوا !

اوليفيه : الى أين ؟

جينور : مولاي ، بقيَ باخي . . . ولا تتأخر .

اوليفيه : ما العمل ؟ لا سبيل الَّا هذا . . . هيَّا !

جوفروا : نعم ! وأسرع الى الباخرة ، وليكن الله معك ! (يهمون بالخروج) .

المشهد التاسع

يدخل موريس مضطرباً

موريس : الامير !

اوليفيه (يتوقف) : ما تقول ؟

موريس : قد أحاط بالمنزل !

ألجه : هلكنا !

اوليفيه : ما نجوتُ من خطر الَّا وقعتُ في غيره ! ألَا يسعنا الفرار ؟

جينور : من المحال !

اوليفيه (ساخطاً) : يا للّعنة !

جوفروا (يدنو منه ويقول على حدة) : اللهمَّ جُد عليه ولو بخلاص النفس !

يُرخى الستار

(لها بقية)